مجلة الحكمة للدراسات التاريخية
Eissn :2600-6405 Issn : 2353-0472
المجلد 10 / العدد: 3 (2022)، ص: 122–150

مقتطفات من حياة الفقيه أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن موسى بن محمد فتحا الزجاي التلمساني الجدّ (ت 1226هـ/ 1818م)

Excerpts from the life of the jurist, Abi Abdullah Muhammad ibn Abdullah ibn Mūssa ibn Muhammad Fatha Al-Zajai Al- Tilimsānī, the grandfather (d. 1226^{AH}/ 1818^{AD})

محمد بومدين[1]

[1] جامعة أبي بكر بلقايد . تلمسان . الجزائر

boumedinem999@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2022/06/28 تاريخ القبول: 2022/07/15 تاريخ النشر:2022/09/20

ملخص:

يعالج هذا البحث سِيرة ومَسيرة العالم الفقيه أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن موسى بن محمد فتحا الزجاي التلمساني الجدّ **(ت 1226هـ/ 1818م)**، الذي جمعته بباي الغرب الجزائري **"محمد الكبير"** صداقة قوية قفزت إلى درجة تنصيب العالم المذكور في سلك الأعيان والعلماء المنتمين علميًا إلى الإدارة العثمانية بالإيالة الجزائرية، عندما تقلد **"الزجاي الجد"** أعلى المناصب الإدارية ذات الصبغة الدينية والعلمية في بايلك الغرب، حتى حاز قصب السبق بين نظرائه من العلماء، ناهيك عن اكتسابه الوقار العلمي من قبل الحكام العثمانيين، الذين أخذوا يهيؤون له بساط التدريس والتعليم سواء في مقر البايلك بوهران أم في مدينة تلمسان التي أضحى يقوم بتسيير أوقاف مساجدها بدعم من الحكام المذكورين في إطار المشروع الحضاري لهؤلاء مع نهاية القرن **12هـ/18م**. كل ذلك كان نتيجة الشهرة العلمية لهذا الفقيه التي اخترقت الآفاق في حواضر المشرق والمغرب، على ما أدلى به حفيده في مخطوطته **"إتمام الوتر"** من صِفات خَلقية وخُلقية أظهرته بمظهر الشيخ المُربي، والعالم الرحالة الذي ارتحل للاستزادة

العلمية من جهابذة الزمان من العلماء المشارقة والمغاربة الذين شهدوا له بدورهم بالتفوق العلمي. إضافة لاكتسابه مهارات التأليف والتصنيف في مختلف العلوم، واهتمامه بالنسخ، وتربعه على مجالس المناظرة وحلقات الدرس، حتى حصل بواسطة ذلك النشاط المُميز، العَدَاوة، خاصة من قبل خصومه الدرقاويين الذين عملوا كل ما في وسعهم للنيل منه واحراق مكتبته التي راحت ضحية تلك المشاحنات العلمية والدينية بين الطرفين. وعلى اثر ذلك جعل **"الزجاي الجد"** منطقة **"بني خلاد"** ملجأ آمنا له ولأغلب ما بقي من مكتبته إلى حين عودته لقرية **"بني سنوس"** ومباشرة حياته العلمية من جديد إلى أن توفي بها، بعد تدخل السلطة العثمانية واخماد تلك الثورة التي أتت على الأخضر واليابس بالإيالة الجزائرية ككل.

كلمات مفتاحية: تلمسان، القرنيين **12**هـ/ **18**م و**13**هـ/ **19**م، بايلك الغرب، العلماء، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن موسى بن محمد فتحا الزجاي التلمساني الجدّ (ت **1226**هـ/ **1818**م).

Abstract:

This research deals with the life of the jurist, Abi Abdullah Muhammad ibn Abdullah ibn Mūssa ibn Muhammad Al-Zajai Al-Tilimsānī, the grandfather **(d. 1226^{AH}/ 1818^{AD}),** whom the Algerian Emir of the West **"Muhammad the Great"** had a strong friendship that jumped to the point of employing **"Zajay"** in the position of scholars affiliated with science. To the Ottoman administration in Algeria, when the **"grandfather Zajay"** assumed the highest administrative positions of a religious and scientific nature in the West, until he achieved scientific excellence among his peers of scholars, in addition to gaining scientific dignity by the Ottoman rulers who began to pave the way for him to teach and teach, both in the headquarters Al-Baylik in Oran or in the city of Tlemcen, which began to run

the endowments of its mosques with the support of the aforementioned rulers within the framework of the civilizational project of these at the end of the **12^{AH}/ 18^{AD}** century. All of this was the result of the scholarly fame of this jurist, which spread in the East and West, as confirmed by his grandson in his manuscript **"iitmam alwatar"** of personal qualities that showed him in the appearance of the educator Sheikh, and the traveling scholar who traveled for scientific further from the scholars of the East and West times who, in turn, attested to him in scientific excellence. In addition to his acquiring writing and classification skills in various sciences, and his position on debate boards and lesson circles, until that distinguished activity enmity, especially from his Darqawa opponents, who did everything in their power to undermine him and burn his library, which fell victim to those scientific and religious quarrels between the two parties. As a result, the **"grandfather"** made the **"Bani Khallad"** area a safe refuge for him and for most of what remained of his library until he returned to the village of **"Bani Sennus"** and began his scientific life again until he died there, after the intervention of the Ottoman authority and the suppression of that revolution that burned everything the province of Ottoman Algeria as a whole.

Keywords: Tlemcen, the **12^{AH}/ 18^{AD} and 13^{AH}/ 19^{AD}** century, the Bailik west, the scholars, Abu Abdullah Muhammad ibn Abdullah ibn Musa ibn Muhammad Fatha Al-Zajai Al-Tilmisani, the grandfather **(d. 1226^{AH}/ 1818^{AD})**.

***المؤلف المرسل:** محمد بومدين

1. مقدمة:

يُعتبر العلماء كنزًا حضاريًا، وأعمدة للمجتمعات المثقفة، وإرثًا ثقافيًا الذي يُمثل عراقة الشعوب التي تفتخر بتاريخها الطويل، وحضارتها الراقية، ونظرًا لما تمثله اسهاماتها المعرفية والفكرية من قيمة علمية وتاريخية للدارسين الأكاديميين المتخصصين في التاريخ الثقافي، باعتبارها أدوارهم تلك من الناحية الموضوعية والمنهجية، أكثر حجة ومصداقية على مستوى التأريخ لمجريات الحوادث التي وقعت في الماضي، ومن أكثر الدلائل والبراهين التي تثبت مدى تقدم وتطور شتى العلوم العقلية والنقلية بمختلف الحواضر العلمية والمراكز الحضارية ومدنها. لذلك اهتمت العديد من الأقلام المعاصرة اليوم بتتبع سير ومسار هذه الشخصيات العلمية التي أفنت زهرة حياتها في سبيل الحفاظ على الموروث الثقافي للأمة العربية وغير العربية عبر المراحل التاريخية المختلفة.

وتماشيًا مع ما تم ذكره، امتلكت منطقة المغرب العربي وحواضره العلمية مثل تلمسان في العصر الحديث، رصيدًا علميًا ثمينًا من التآليف، والتصانيف، والإجازات...، كان أعلامها وعلى رأسها أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن موسى بن محمد فتحا الزجاي التلمساني الجدّ **(ت 1226هـ/ 1818م)**، بمثابة الرموز الفكرية التي أبت إلا أن تجابه بأنشطتها الثقافية مختلف الصعاب السياسية والعسكرية التي باتت غير خادمة للعلم والمنقبين عنه في ظل خصوصيات العصر الحديث الذي ركز حكامه بإيالة الجزائر على السيف والعسكرية، إلا بما كان من شأنه أن ينهض بالحياة الفكرية والعلمية في عهد الباي **"محمد الكبير"** أواخر القرن **12هـ/18م**، الذي قرب إليه العلماء وطلبة العلم وخَصَّص لهم موارد مالية شجعتهم على التدريس والتحصيل العلمي، حتى كادت ملامح الثقافة وقتذاك تتغير إلى الرقي الثقافي، وتشهد مؤسساته العلمية ازدهارًا لم تعرفه من قبل زمن

العثمانيين، بشهادة غير واحد من المصادر التاريخية المعاصرة لأعمال هذا الباي العالم ومنجزاته التي اعترفت له بها مؤلفات هؤلاء العلماء ومناقبهم.

وفي خِضِمّ هذه الإشكالات، آثرنا إبراز موضوع مهم من المواضيع المتعلقة بتاريخ الثقافة وعلمائها بتلمسان أواخر القرن **12هـ/18م**، والعقود الثلاثة الأولى من القرن **13هـ/19م**، انطلاقا مِمَّا حملته المادة المصدرية الذي يحتويها مخطوط **"إتمام الوطر"**، عندما وجدنا صاحبه أبي عبد الله محمد بن علي بن محمد بن عبد الله بن موسى بن محمد فتحا الزجاي التلمساني الحفيد **(كان حيا سنة 1284هـ/1867م)**، يؤرخ لجده بطريقة استريوغرافية **"الفضائل"** في ذكر سِير الأعلام. المعتمدة في مناهجها، وأساليبها، وفلسفاتها...، على تفضيل عالم دون غيره بجعله في الطبقة الأولى من نخبة العصر.

وعليه، جاءت هذه الدراسة لتساهم مساهمة جادة في الحقل الثقافي لمدينة تلمسان إبان الفترة العثمانية، في ورقة علمية موسومة بـ: "**مقتطفات من حياة الفقيه أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن موسى بن محمد فتحا الزجاي التلمساني الجدّ (ت 1226هـ/ 1818م)**"، والمرتكزة في مضانها البحثية على ستة أضلع. نوجز عنصرتها على شاكلة النقاط التالية:

. **الضلع الأول**: أبرزنا من خلاله التداخل الحاصل بين مفاهيم **"الفِقْه"** و**"الفَقِيه"** بالمغرب العربي في العصر الحديث، باعتبار العالم المترجم له كان فقيهًا وعالمًا مشاركًا في شتى العلوم تقريبًا، ممَّا جعلنا نغوص في البحث عن سبل توضيح مصطلح الفقه كعلم يتناول العلوم الشرعية، والشيخ **"الفْقِيه"** بتسكين الفاء، الذي كان يعني المتخصص في علم من العلوم النقلية والعقلية وعلى رأسها **"علوم القرآن"**.

- **الضلع الثاني**: مُخصص لتقديم صورة عامة عن الصفات الخَلقية والخُلقية لأبي عبد الله سيدي محمد بن عبد الله بن موسى بن محمد فتحا الزجاي التلمساني الجدّ (**ت 1226هـ/ 1818م**). وأهم ما ميز علاقاته الدِينية والدُنيوية بدرقاوة، والتطرق عِلاوة على ذلك لمكانته بين معاصرين من العلماء.

- **الضلع الثالث**: يُركز بالدراسة المعتمدة على التقييم والتحليل في الإسهامات العلمية والفكرية للعالم المترجم له. في مجال الفتوى والتدريس.

- **الضلع الرابع**: يبحث في دور الرحلة العلمية والحجازية وأواصر التواصل الثقافي في رسم شخصية الشيخ الزجاي الجد. في المشرق والمغرب ولقائه للعلماء والشيوخ.

- **الضلع الخامس**: يركز على النتاج العلمي والأدبي للعالم الزجاي الجد عبر تسليط الأضواء على آثاره ومؤلفاته ومصير مكتبته الشخصية في ظل ثورة درقاوة.

- **الضلع السادس**: خصصناه لوفاة الزجاي الجد.

وبناءًا على هذه الطروحات إرتأينا أن نسلك منهجيًا ومعرفيًا، دروب هذا المسعى العلمي على نمط الدراسات البيبليوغرافية، بهدف نفض الغبار عن الإنتاج الثقافي والفكري لعالم تلمسان **"الزجاي الجد"** أواخر العهد العثماني، وما أصبحت عليه أدواره العلمية تلك، كمرآة عاكسة للتاريخ الأدبي والثقافي بالمدينة المذكورة، في ظل فِترة سياسية أقل ما يُقال عنها أنها لم تكن تخدم رجال الفكر والثقافة بتلمسان العثمانية خاصة وإيالة الجزائر على العموم. متكئين في ذلك على المنهج السردي التحليلي وأسسه القائمة على الكرونولوجيا التاريخية، التي تنطلق من تاريخ ميلاد العالم، وصولاً إلى ووفاته، مرورًا بأنشطته العلمية والفكرية في البيئة الثقافية التي خَصَّها لنفسه بالعطاء الفكري والثقافي.

2. إشكالية التداخل الحاصل بين مصطلحي "الفِقْه" و"الفَقِيه" في المغرب العربي خلال العصر الحديث:

الفِقهُ هو العلم بالأحكام الشرعية العملية المستنبطة، أي المُستخرجة من أدلّتها التفصيلية، وبناء على ذلك، فإن **"علم الفقه"** هو علمٌ يكون مَدار البحث فيه مُختصّ بالأحكام الشرعية، وهذه الأحكام مصدرها الأدلة التفصيلية من القرآن والسنة، وغيرها من الاجتهادات الشخصية بما يخدم مصلحة الأمة، والتي تصلح أن تكون دليلاً شرعياً مقبولاً في الشريعة الإسلامية.

ولوجود اختلاف كبير بين مصطلحي **"الفِقْه"** أو **"الفَقِيه"** من ناحية المعنى والمقصد اللغوي والكلامي في تلمسان خلال الفترة العثمانية وإلى اليوم، فقد فصل فيهما منذ القرن **13هـ/19م**، عدد من علماء المغرب العربي أم المستشرقين أمثال **"الأب برجيس"** في كتابه **"مذكرات الرحلة بتلمسان"** حيث تطرق للمعنى الدقيق لكلمة **"الفْقِيه"** بين العامة أو النخبة من سكان تلمسان خلال الفترة العثمانية، حيث أكد أن المصطلح في هذه المدينة كان يقصد به **"العِلمُ"** الذي يتعلق بالعلوم الشرعية في الإسلام، والذي يعطي المفهوم نفسه لكلمة "علم"، بمعنى **"التفقه في الشيء"** هو **"التعلم في الشيء"**(Barges, 1859, P: 347). وأضاف يقول أن العالم المهتم والمتخصص في أي علم من العلوم يلقب بـ: **"الفْقِيه"**(Barges, 1859, P: 347). بتسكين الفاء، وكسر القاف، وتسكين الهاء.

وفي السياق نفسه أورد **"إدموند دوتي"** في كتابه **"الصلحاء"** أن كلمة **"سِيدِي"** هي الأخرى لها المعنى نفسه لمفهوم **"العالم"** التي كان يقصد بها خلال القرن **13هـ/19م**، في تلمسان **"الفْقِيه"**، إلا أنها تستعمل عادة لتعني وليًا صالحًا، وهي تدل على احترام أكثر للعالم الفقيه(دوتي، 2014، ص: 84).

وأضاف من جانبه الباحث المقرئ التلمساني **"حمزة بن علال"** في كتابه **"جهود علماء تلمسان في علوم القرآن"**، أن المعلم أم الأستاذ أم الطالب الحَقّ الذي كان يُدَرِس أو يحفظ القرآن وعلومه في تلمسان عبر العصور كان يُنعت بالسيد **"الفَقِيه"**(بن علال، 2019، ص: 32)، لنخلص هنا إلى نتيجة هامة مفادها أن التخصص في أي من العلوم النقلية أو العقلية والتبريز فيه كما أشار له **"الأب برجيس"** يصدق القول في صاحبه **"سيدي الفْقِيه"**.

3. الصفات الخَلقية والخُلقية للفقيه أبي عبد الله سيدي محمد بن عبد الله بن موسى بن محمد فتحا الزجاي التلمساني الجدّ (ت 1226هـ/ 1818م):

حَريّ بنا، قبل الخوض في سياق الأبعاد الحضارية والتاريخية التي تؤرخ للأوضاع العلمية والفكرية بتلمسان أواخر العهد العثماني كما سجلها صاحب **"إتمام الوطر"**، أن نشير في عُجالة إلى تعريف **"الزقاي"**، لما يُمثله اللقب العائلي من أهمية بالغة في الصورولوجيا الثقافية لأي حاضرة علمية خلال الفترة الحديثة من جهة، وباعتباره واحد من المحاور الرئيسية التي ركز فيها صاحب المخطوط عمله في الترجمة للعلماء والأعيان بتلمسان أواخر العهد العثماني.

1.3 معنى لقب الزقاي:

يعود معنى لقب **"الزقاي"** على ما أكده صاحب المخطوط باللغة العامية **"الزْقَا"** بمعنى **"يْزَقّي"** وباللغة العربية الفصحى **"يصيح"** على الناس، وذلك ما جاء على لسان الزجاي الحفيد، بقوله: "**(...) نسبة إلى الزقا بمعنى الصياح (...) ويْزْقِي أي يصيح بالناس كالمستغيث (...) وفي لسان العامة يقولون زقاي (...)**"(الزجاي، 1867م، الورقة 21/أ). ليصبح لقب هذا البيت العلمي **"الزقاي"** عند العامة في تلمسان منذ القرن الـ **13هـ/19م**، حتى اليوم.

2.3. مولده وصفات الخَلْقِية:

ذكر صاحب **"إتمام الوطر"** أن ميلاد جده كان في أنصاف ربيع الثاني من عام **1161هـ/1748م**، بقرية أزفون، ثم انتقل منها إلى تلمسان، حيث قال: "**(...) وأما (...)، ولادته في النصف من ربيع الثاني عام 1161هـ/1748م، (...) بالقرية المعروفة بأسفونة (...)، إلى أن انتقل إلى تلمسان ونوى بها الاستطان (...)**"(الزجاي، 1867م، الورقة 23/أ). وعن الملامح الشخصية لجده من الناحية الخَلقِية، قال الزجاي الحفيد: "**أما صورته فقد كان في (...)، اعتدال (...)، نحيف الجسم (...)، في لونه أسمر (...)، ضعيف اللحية (...)، جعد شعر قويم الأنف (...)، سالم الذات(...)**"(الزجاي، 1867م، الورقة 22/ب).

3.3. بيته (عائلته):

ولم يغفل صاحب المخطوط ذكر أولاد الزجاي الجد، وهم ثلاثة: الحبيب، وعبد الله، وفاطمة، مُشيرًا أنه لم تستمر ذريتهم فيما بعد، سوى عند عبد الله، الذي تربى عند تلميذ الزجاي الجد **"الشيخ أسيف"** حتى كبر وزوجه أحد بناته، وتتلمذ عليه هو الآخر، وورثه في الطريقة الصوفية والمنزلة العلمية، فيما قاله صاحب المخطوط: "**(...) وأما أولاده فثلاثة الحبيب وعبد الله وفاطمة ولم يعقب منهم سوى عبد الله وهو ابن تركه صغير وتربى في كفالة تلميذه الشيخ أسيف (...)، ولما شب زوجه وأخذ منه من العلم ما تيسر وتبناه وجعله بمنزلة ولده ولقنه الطريق (...)، وورث مكانه**"(الزجاي، 1867م، الورقة 22/ب).

4.3. الصفات الخُلُقِية:

قبل التطرق للصفات الخُلقية الخاصة بالزجاي الجد، لا جرم علينا أن نتوقف على المنزلة الثقافية والاجتماعية التي خصَّها صاحب المخطوط لجده،

حيث وضع ترجمته وبدأ بها في مقام صَفوَة الصَّفوَة من العلماء وبيوتاتهم العلمية في هذا المخطوط، فأدرجه في **"الطبقة الأولى"** من العلماء، وهو في صدد وصف أخلاقه الدينية والعلمية، بقوله: "**(...) كان رحمه الله دائم الاكرام (...)، حليما صبورا (...)، رفيع الهمة، شديد المهابة والحرمة، زاهد في الدنيا(...)**"(الزجاي، 1867م، الورقة 5/أ).

5.3. تصوفه:

وعن الطريقة التي سلكها في تصوفه، فإنه قد لبس ثوب طريقة الإمام الجنيد[1]، استنادًا لما أورده صاحب المخطوط من تصريحه هو في هذا الشأن، وهو ينسب جده لشيخه الإمام الجنيد أحد أقطاب التصوف، بقوله: "**(...) كان على طريقة الجنيد(...)**"(الزجاي، 1867م، الورقة 6/ب). ولقد كانت للزجاي الجد كرامات صوفية، على حد قول صاحب المخطوط: "**(...) جدي لأبي (...)، وهو الشيخ الإمام (...)، شيخ الطريقة وركن الشريعة والحقيقة، الولي الصالح، المرشد الناصح أبو عبد الله سيدي محمد بن عبد الله بن موسى بن محمد فتحا الزجاي (...)، صاحب الاشارات والفتوحات والكرامات (...)**"(الزجاي، 1867م، الورقة 6/ب).

تُلتمس مكانة **"الزجاي الجد"** الدينية في الميادين العلمية والصوفية، من خلال ما أكده حفيده في هذا المخطوط، على أنه كان على منزلة علمية راقية،

---

[1] **أبو القاسم الجنيد بن محمد بن الجنيد النهاوندي البغدادي الخزَّاز القواريري (ولد سنة 215هـ/807م)**: عالم، وفقيه، صوفي، أصله من نهاوند من مدن كردستان، إلا أن مولده ومنشأه ووفاته ببغداد. ولد ببغداد سنة **215هـ/807م**، ونشأ فيها. وصحب جماعة من المشايخ، واشتهر بصحبة خاله سري السقطي، والحارث المحاسبي، ودرس الفقه على أبي ثور، وكان يفتي في حلقته وهو ابن عشرين سنة. يعد من علماء أهل السنة والجماعة، ومن أعلام التصوف، إذ جمع بين قلب الصوفي وعقل الفقيه، واشتهر بلقب **"سيد الطائفة"**. وعدَّه العلماء شيخ مذهب التصوف؛ لضبط مذهبه بقواعد الكتاب والسنة، ولكونه مصونًا من العقائد الذميمة، محميً الأساس من شُبه الغلاة، سالمًا من كل ما يوجب اعتراض الشرع. قال عنه أبو عبد الرحمن السلمي: **"هو من أئمة القوم وسادتهم؛ مقبول على جميع الألسنة"**. وهو أول من تكلم في علم التوحيد ببغداد. ينظر: (المناوي، 1999، ص: 582).

ورفعة دينية كبيرة، وذا شهرة علمية طائرة الآفاق، جعلت الوفود من العامة والخاصة تأتيه للدراسة وتحصيل الكرامات الصوفية، على ما ورد في **"إتمام الوطر"**: "**(...) وتكاثر صحبه واستشرى صيته، (...)، ووردت عليه الوفود للزيارة وتلقي العهود، وأقبل عليه الناس لحمل الأسرار والعلوم، وتهذيب النفوس من كل خلل مذموم، وقصده الجمهور بالهدايا، (...)**"(الزجاي، 1867م، الورقة 6/ب).

6.3. علاقته بدرقاوة:

لقد جمعت بين الزجاي الجد ودرقاوة، علاقة مشحونة بالعداء والكره الشديد(سعد الله، 2009، ص: 300)، على ما استنتجناه من مخطوط **"إتمام الوطر"**، حيث عمل درقاوة بشتى السبل على النيل منه، وكانوا المبادرين إلى ذلك، من خلال إعداد كل ما من شأنه أن يقضي على هذا العالم، على ما قاله حفيده في الموالي: "**(...) وسابقوه (...)، واجتهدوا (...)، واجتمعوا على نكايته (...)، وعزموا على مكيدته، (...)، ومكروه مكرا كبارا، (...)، وأصبحوا بدعوته كفارا، (...)**"(الزجاي، 1867م، الورقة 7/أ). إلا أن كل تلك المكائد والمساعي لم تفلح على حد تعبير صاحب المخطوط، بقوله: "**(...) وخاب أملهم، وانقلبوا وهم خائبون (يعني درقاوة)(...)**"(الزجاي، 1867م، الورقة 7/أ).

8.2. مكانته بين معاصريه:

لا ضير، أن الزجاي الجد كان من العلماء البارزين خلال أواخر القرن **12هـ/18م**، أكسبته كل ذلك أبّهة علمية، لم يتوان على إثرها الباي محمد الكبير **(ت 1212هـ/1797م)**[2]، من أن يجعله من جلسائه، وأحد العلماء الذين

[2] **الباي محمد الكبير (ت 1212هـ/1797م):** هو أبو عبد الله محمد بن عثمان بن ابراهيم الكردي أو الباي محمد الكبير، ولد بمليانة الّتي كانت تحت قيادة والده عثمان باي الكردي، كان والي بايلك الغرب بأيالة الجزائر، حكم بصفه بايا من **20 جمادى الثانية 1193هـ/1779م** حتّى **25 جمادى الأولى**

يُنشِّطون الجلسات العلمية من مناظرات وغيرها في مقره ببايلك الغرب، حيث قربه منه الباي المذكور قربة علمية قوية على ما يبدو، وهو ما ذكره حفيده، بقوله: "**(...) وأجلسه بمكان منه قريب (يعني محمد الكبير)، (...) فلم يلبث (...)، من كل وجد بالسؤال واشتد بينهم وبينه الجدال وجالوا فيه كل مجال، (...)، ما دار بينهم في تلد المحاضرة وما آل اليه أمرهم من سمو المناظرة (...)**"(الزجاي، 1867م، الورقة 8/ب).

3. إسهاماته "الزجاي الجد" في الحياة العلمية والفكرية بتلمسان أواخر العهد العثماني:

1.3. الإفتاء:

إن الدرجة العلمية التي اشتهر بها الزجاي الجد، داخل تلمسان وخارجها بالحواضر العلمية بالبلاد الإسلامية - **كما سيأتي تبيانه** - أكسبته الريادة العلمية في ميادين النوازل الفقهية على ما يظهر، إذ ذكر ذلك صاحب المخطوط، بإشارة منه في ذكر كلمة **"حتى من السواحلية"** التي تعني أن الفتاوى كانت تأتيه من القريب والبعيد، وهو دليل على شهرته في القرى الساحلية لمدينة تلمسان من جهة، وتمكنه في العلوم الفقهية في مختلف أصولها وفروعها من ناحية أخرى، ومن ذلك ما قاله حفيده، بقوله: "**(...) كانت تأتيه الفتاوى حتى من منطقة السواحلية (...)**"(الزجاي، 1867م، الورقة 9/أ).

2.3. التدريس:

1212هـ/1797م، تميّز عن بقية البايات بأعماله الّتي عبّرت بوضوح أن الرّجل كان مسايرًا لمشروع حضاري تغذيه حركة اصلاحية، عاشت المخاض في عهده، ثم اندثرت، جمع من الخِصال الحميدة ما جعل المصادر المعاصرة له تجمع على الثّناء فيه، توفي محمد الكبير في مساء يوم الأربعاء 25 جمادى الأولى **1212هـ/1797م**، وهو راجع من مدينة الجزائر، بعد أن أدّى دنوشه، وأتم الثمانية أيام من الضيافة لدى حضرة الدّاي حسن. ينظر: (الناصري، (دت)، ص 47).

إنتفع الزجاي الجد من المشروع الحضاري الكبير الذي كان الباي محمد الكبير في صدد إنشائه، هذا المشروع العلمي الذي كان فريدًا من نوعه بإيالة الجزائر، إلا بمثل ما شيده أيضًا صالح باي ببايلك الشرق، حيث عمل محمد الكبير على إكرام العلماء وتشييد المدارس والمساجد، وصيانة بعضها[3]. وجعل إضافة إلى ذلك للعلماء والشيوخ مرتبات رسمية مُخصصة لهم من أموال الوقاف والأحباس، كمرتفقات مالية تسد حاجاتهم المعاشية، بهدف تشجيع النشاط العلمي والتعليمي، وهو ما نجح فيه بشكل مؤقت، على قول صاحب **"الثغر الجماني"** بن سحنون الراشدي **(ت بعد 1211هـ/ 1796م)**[4]: "**(...) ومن أعظم مآثره، وإن كانت كلها عظيمة، أنه رتب المدرِّسين في الجوامع بوظائف يأخذونها من الأحباس، بعد أن كان العلماء لا ينتفعون من ناحية المخزن بشيء، إلا من كان متوليا لخطة، أو مستعملا في خدمة، فاتسعت بذلك حال العلماء وانشرحت الصدور للقراءة، وشهرت النفوس، وكثر طلبة العلم، وتشوق كل أحد للتدريس، واشتد الحرص على التعليم، من بعد أن كاد يترك اشتغالا بالتجارة، لقلة جدواه**"(إبن سحنون، 2012، ص: 141). وكان من بين هؤلاء

---

[3] نجد الباي محمد الكبير **(ت 1212هـ/1797م)**، خلال نهاية القرن **12هـ/18م**، يقوم بإصلاحات كثيرة ببايلك الغرب، كان لتلمسان منها نصيب في ترميم المدرستين ومكتبتها اللّتان كان لهما شهرة واسعة في العلم والمعرفة، وهما مدرسة أولاد الإمام، ومدرسة المسجد الكبير، وحبس لهما أحباسا للإستفادة من مداخيلها. وغير ذلك، لم نقف له بالبحث والتّقميش على أي مبادرة تركيّة أخرى في هذا المضمار. ينظر بالتفصيل:
(Gorguos, 1856, P. 408)

[4] **أبو العباس أحمد بن محمد بن علي بن سحنون الراشدي (ت بعد 1211هـ/ 1796م)**: أحمد بن سحنون الراشدي من مواليد النصف الثاني من القرن **12هـ/18م**، بمُعسكر، إحدى المدن الجزائرية، واسمه الكامل أحمد بن محمد بن علي بن سحنون الراشدي نسبة للوطن الراشدي بنواحي **"معسكر"**، ويعد **"بن سحنون"** من المؤرخين الكبار ببايلك الغرب الجزائري، بحكم توليه منصب كاتب الباي **"الأمير"** محمد بن عثمان الكبير، إضافة لكونه ناظم شعر. وصف المؤرخ الجزائري **"أبو القاسم سعدالله"** بأنه كان بمثابة المتنبي لسيف الدولة، شاعراً، ومؤرخاً...من مؤلفاته: **"الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني"**، و**"عقود المحاسن"**، و**"الأزهار الشقيقة المتضوعة بعرف الحقيقة"**. ينظر: (سعد الله، ص: 229).

العلماء، الزجاي الجد، الذي نصبه محمد الكبير مدرسًا على مدرسة أبي مدين شعيب الغوث[5] بالمركب العلمي والديني **"العباد"**[6]، وفوض له أمرها كله، فيما يخص تسيير أحباسها وأوقافها، حيث ذكر ذلك حفيده بشيء من الإسهاب، بقوله: "**(...) وتصدى لخدمة العلم الشريف بالتدريس والتصنيف، إلى أن اشتهر به وشاع، وامتلأت به النواحي والبقاع، وكان ذلك على عهد الأمير الباي محمد الكبير، (...)، أولاه بالإكرام وأخذ يبعث إليه في (...)، مدرسة الشيخ أبي مدين بالعباد وولاه أمرها (...)، وأفرده بدرسها وفوض إليه الأمر في مصالحها وحبسها وجعل له ذلك اشتغالا وأجر وعليه (...)، المال خمسين ريالا، واسكن الدار بانيها (...)، فدرس بها برهة من الزمان، (...)**"(الزجاي، 1867م، الورقة 9/أ).

غير أن الزجاي الحفيد يشير إلى أن جده على ما يبدو قد انقطع على عمله بمدرسة مركب العباد، إلى ما بعد فتح مدينة وهران، بسبب انشغال الباي محمد الكبير وأهل العلم بفتح هذه المدينة سنة **1195هـ/ 1792م**، في إطار التعبئة الدينية والاجتماعية التي أعدها هذا الباي في سبيل حشد كل أطياف المجتمع

---

[5] **أبو مدين شعيب الغوث بن حسين الأنصاري (ت 594هـ/1193م):** هو الإمام العارف بالله شعيب بن حسين الأنصاري، من مشاهير الصوفية، أصله من الأندلس، من حصن **"قطنيانة"** التابعة لإشبيلية، أقام بفاس طلبًا للعلم، ولكنّه سرعان ما استهواه التصوف الّذي تنقل في مرتبته حتّى بلغ مرتبة **"القطب والغوث"**، وعندما شد الرّحال إلى مكة بغية أداء فريضة الحج، لقي الصوفي الكبير عبد القادر الجيلاني كما قيل، وأتمّ على يده علوم التصوف، وبعد عودته إلى عُدوة المغرب إستقر بتلمسان واشتغل هناك بتعليم الصوفية، ونشر تعاليمه الّتي تخالف مذهبهم، فاستدعاه بسببها السلطان أبو يوسف يعقوب المنصور إلى مراكش لمناقشته، ولبى الشيخ الدعوة، وفي طريقه إليه توفي قرب تلمسان ودفن بها، حيث لا يزال قبره مزارا بها قامت حوله مدينة العباد. للمزيد حول سيرته ينظر: (عبد الحليم، 1985، ص ص: 21 . 49).

[6] **مركب العباد:** يضم هذا المركب العلمي والديني، منشآت دينية ودنيوية، تعرف بـ: **"مركب العباد"**، الذي يوجد فيه ضريح العالم الولي أبي مدين شعيب الغوث **(ت 594هـ/1193م)**، ومن الجهة الجنوبية بيت الحجيج ودار الوكيل، ومن الجهة الشمالية الغربية دار السلطان، ومن الجهة الشرقية مسجد وجامع العباد. و**"العباد"** من **"الزهاد"** وهي جمع عابد، وينقسم العباد إلى قسمين، السفلى والعلوي . **الفوقي** ،. ويبدو أن العباد السفلى هو الأول من عُمِّر بالسكان، ويمتد من عين وانزوتة غربًا إلى سيدي أبي إسحاق شرقًا، أما العباد الفوقي فلم يعرف تطورًا ملحوظًا إلا بعد تشييد الضريح الذي كان يأوي العالم الفقيه سيدي بومدين. ينظر: (دحماني، 2020، ص: 31).

الجزائري في عملية الفتح هذه، وهو ما نقرأه بشكل جلي من كلام الزجاي الحفيد، بقوله: "**(...) ووجد الباي قد استرجع وهران (...)، وافتتح حصونها ومعاقدها (...)، ونصب بها سرير السلطنة واسكن الملك منها مجلسه ومسكنه وبلغ بها الإيمان (...)، وتضاعف بفتها السرور وانشرحت الصدور، فأقره على ما كان وأحله من التجلة والتكرمة بمكان فعاد بالمدرسة (...)، بخدمة العلم وانتحاله (...)**"(الزجاي، 1867م، الورقة 10/ب).

لقد استمرت هذه العلاقة المرموقة بين الزجاي الجد وبايات بايلك الغرب الجزائري، بعد وفاة الباي محمد الكبير، وبقيت العلاقة تلك، حتى مع الباي مصطفى الذي راسله الزجاي الجد في أمر إرجاع أحباس مدرسة العباد إليها، وهو ما قام به الباي الأخير، عندما راسل قاضي مدينة تلمسان يأمره بالاهتمام بهذه المدرسة، وجعل الزجاي الجد هو من يقوم بتسيير أحباسها، فقال الزجاي الحفيد في هذا الصدد: "**(...) واستمر على ذلك أيام عثمان (...)، وكذلك أيام مصطفى فإنه اتبع سبيلهما في ذلك (...)، أمرها (...)، وكتب له (أي للزجاي) كتاب كتبه له في أحباس المدرسة ونصها بعد الحمدلة محبنا المكرم والعالم العلامة القدوة الفهامة السيد محمد بن عبد الله العبادي حمة الله وسلام عليه ورحمته وبركاته وبعد فقد بلغنا كتابه في شأن أحباس مدرسة الشيخ أبي مدين أدركنا الله برضاه (...)، فكتبنا لمحبنا قاضي تلمسان يرد لها جميع أحباسها المعلومة متلها سابقا في وقت أخي المرحوم السيد محمد باي وأصرفها أنت في مضاربها (...)**"(الزجاي، 1867م، الورقة 10/ب). إضافة إلى أنه راسل قائد مدينة تلمسان من الأتراك العثمانيين ليقدم مبالغ مالية للزجاي الجد تصرف على مستلزمات هذه المدرسة، فقال صاحب المخطوط: "**(...) وقد كتبنا لباشا قايد تلمسان يصلكم عشرين حصيرة لتفرشوها في المدرسة المذكورة والله ينفع**

الجميع وها نحن بعثنا لك خمسين ريالا بوجه من عندنا فاستعن بها على قضاء مصالحه وندد لنا الدعاء الصالح في كل وقت والسلام عليك وعلى كافة تلامذتك من كاتبها بأمر (...)، السيد الحاج مصطفى باي وفقه الله ولم يزل كذلك (يعني جده(...)"(الزجاي، 1867م، الورقة 10/ب).

3.3. تلامذته:

لقد التف حول الزجاي الجد الكثير من الطلبة والشيوخ والعلماء، من مختلف أرياف وقرى تلمسان، ينهلون منه رحيق العلوم العقلية والنقلية، وذلك ما أفرد له صاحب **"إتمام الوطر"** جانبًا معتبرًا في ترجمة تلامذته وأماكن انتمائهم، فضلاً عن العلوم التي أخذوها عنه، ومؤسساتهم العلمية غير الرسمية التي أسسوها كالزوايا والمعمرات الدينية والعلمية، وفي الموالي ترجمة لثلة منهم على ضوء ما ورد في سطور هذا المخطوط:

. أبو عبد الله محمد المختار التلمساني (من علماء القرن 12هـ/18م): أحد شيوخ جد الزجاي الحفيد، والذي كان يمتلك على ما يبدو زاوية علمية، أورد أخبارها بشكل مقتضب في مخطوطته **"إتمام الوطر"**، في معرض حديثه عن شيخ جده وزاويته، بقوله: "**(...) من أولاد سيدي عبد الله كان صاحب ايثار حميدة وزاوية علمية**"(الزجاي، 1867م، الورقة 11/أ).

. أبو العباس أحمد ابن أبي سيف (من علماء أواخر القرن 12هـ/18م وبدايات القرن 13هـ/19):

ذكره صاحب المخطوط أنه كان صاحب زاوية أو معمرة علمية بمدشر **"العين الكبيرة"**[7]، حيث لم يصرح بذكره لمصطلح **"أمبلاصة"**[8] من لغة

[7] **العين الكبيرة**: مدشر كان ولازال تابعا لبلدية فلاوسن، وهذه التسمية أصلها عربي من كلمة كبير نقيض صغير، وسميت كذلك نسبة إلى وجود عين أكبر من الأخرى حسب شهادة سكانها. ينظر: (نجراوي، 2017 . 2018، ص: 75).

"الفرانكا" ما المقصود منها. ونسب آصرته العلمية والعائلية إلى الشيخ **"أسيف الكبير"** صاحب الزاوية بالميزاب في الجنوب الشرقي الشمالي لإيالة الجزائر، وفي شأن ذلك، قال: "**(...) وأما تلامذته (...)، أشهرهم سيدي الحاج أحمد ابن أبي سيف كانت له ابلاصة بالعين الكبيرة ومحاسن كثيرة، وهو ابن أخ الشيخ أسيف الكبير ذي المفاخر والمآثر وصاحب الزاوية التي كانت بالميزاب (...)**"(الزجاي، 1867م، الورقة 11/أ).

وإلى جانب هؤلاء الطلبة العلماء، أضاف الزجاي الحفيد مجموعة من الفقهاء التلمسانيين، كالفقيه السيد العز براويس التلمساني، والفقيه السيد ابن عبد الله بوزوينة التلمساني، والحاج محمد بن تأشفير الساحلي التلمساني، والحاج محمد بن عمر العابدي التلمساني، والذين يعتبرون من علماء أواخر القرن **12هـ/18م**، وبدايات القرن **13هـ/19م**، حيث درسوا على يد جده، بقوله: "**(...) وأما تلامذته (...)، أشهرهم (...)، ومنهم الفقيه السيد العز براويس من أولاد سيدي فأداه بالمختار (...)، والفقيه السيد ابن عبد الله بوزوينة المذكور العامر والخير الحاج محمد بن تأشفير الساحلي والمكرم الحاج محمد بن عمر العابدي وغيرهم (...)**"(الزجاي، 1867م، الورقة 11/أ).

4.3. مشيخته: تتلمذ الزجاي الجد على علماء من داخل تلمسان وخارجها، خاصة بالمغرب الأقصى وحواضره التي ارتحل إليها للاستزادة العلمية، والاستفادة من علمائها، وهو ما ورد في **"إتمام الوطر"**، حيث نجد شيوخ الزجاي الجد من

---

[8] **أمبلاصة**: هكذا كتبت في المخطوطة، ولا وجود لهذه الكلمة في معاجم اللغة العربية، إذ على ما يبدو أن صاحب المخطوط متأثر باللغة الفرانكية الفرانكا التي كانت سائدة في عصره إلى اليوم، وهي لغة اختلطت معانيها وألفاظها بالحروف والكلمات الفرنسية والإيطالية والإسبانية. و**"ابلاصة"** هو نطق عامي للكلمة بمعنى المكان، ويقصد بها في اللغة الفرنسية **"la place"**، أي المكان. وفي اللغة الإسبانية **"Plaza"** والكلمة بلغة الفرانكا تنطق **"platza"**. ينظر:

(Anonyme, 1830.).

تلمسان الذين درس عليهم في أول مستهل حياته العلمية، بتعلمه القرآن الكريم والقراءات على العالم أمزيان التلمساني **(من علماء النصف الأول من القرن 13هـ/19م)**[9]، إلى جانب العالم أبي عبد الله محمد عبد الرحمن اليبدري **(من علماء النصف الأول من القرن 13هـ/19م)**، الذي أخذ عنه الفقه والنحو وعلم البيان، إضافة إلى العالم الكرغلي[10] التلمساني أبي عبد الله محمد القالب الكرغلي **(من علماء النصف الأول من القرن 13هـ/19م)**، والعالم ابن لؤلؤة التلمساني **(من علماء النصف الأول من القرن 13هـ/19م)**، حيث ذكر ذلك كله صاحب المخطوط، بقوله: "**(...) وأما مشائخه فانه لما بلغ سن التمييز شرع في قراءة القرآن العزيز (...)، ثم ارتحل لتلمسان وأخذ بها القراءات عن السيد أمزيان والفقه والنحو والبيان على الشيخ محمد عبد الرحمن اليبدري وابن لؤلؤة ومحمد القالب الكرغلي(...)**"(الزجاي، 1867م، الورقة 15/أ).

أما عن تعليمه في حاضرة فاس بالمغرب الأقصى، وهي عادة كل العلماء التلمسانيين وغيرهم في تلك الفترة، ذكر صاحب المخطوط أن جده أخذ عن علماء

---

[9] **أبو علي محمد بن مزيان التلمساني (ت 1250هـ/1842م):** الذي جمع بين العلوم العقلية والنقلية، وتمكن في علم الهيئة "**الفلك**" والتوحيد "**العقائد**"، وفي ذلك قال الزجاي الحفيد: "**الشيخ أمزيان (...)، أحد العلماء الأعيان الذين انتحلوا الهيئة والتوحيد (...)، هو أبو علي محمد بن مزيان (...)**". وتطرق أيضا صاحب المخطوط إلى ارتحاله لفاس وعودته لتلمسان التي درس بها في الجامع الكبير، ناهيك عن دخوله في أخذ ورد مع الحكام الأتراك ببايلك الغرب، في قضية توليته لخِطة القضاء، سواءً في قلب المدينة بتلمسان التي لم يقلد بها هذا المنصب، أم بندرومة التي نصب بها كقاضي إلى غاية رجوعه لتلمسان وقتله من قبل الإحتلال الفرنسي سنة **1250هـ/1842م**، عقب المحاولات المتكررة والأخيرة لإحتلال مدينة تلمسان من قبل الفرنسيين، حيث جاء ذلك في "**إتمام الوتر**"، بالقول: "**(...)، دخل تلمسان ثم ارتحل لفاس (...)، ثم رجع لتلمسان ونوى بها الاستيطان ودرس بالجامع الكبير (...)، ثم لازم القضاء (...)، بعدما امل الداي باي وهران ان يسرع في تقليده قضاء تلمسان (...)، لكنه لم ينصب بها بل نصب بندرومة، (...)، ثم رجل لتلمسان ولم يقلد منصبه ذاك حتى قتل أيام دخول الفرنسيين لتلمسان سنة 1250هـ/1842م**". وقد أثبتت وثيقة أرشيفية أن الإدارة العثمانية قد عرضت على أمزيان توليته لمنصب الإفتاء لا القضاء بتلمسان، لكنه رد عليها في الرسالة أنه يريد القضاء. ينظر: (الزجاي، 1867م، الورقة 48/ب). (حماش، 2012، ص: 67).

[10] **جمع كرغلي**، وهو مصطلح ينقسم إلى قسمين، كورو: بمعني عبد، وأوغلي: معناه ابن، فيصبح المعنى: ابن عبد. والكرغلي هو من كانت أمه جزائرية وأبوه تركي.

متميزين بفاس، كالعالم الشيخ بناني، والشيخ التاودي، وابن سودة، والشيخ عبد القادر بوخريص، على ما جاء في **"إتمام الوطر"**، بالقول الصريح: "**(...) ثم ارتحل لفاس (...) فأخذ بها عن الشيخ بناني والشيخ التاودي وبن سودة والشيخ عبد القادر بوخريص (...)**" (الزجاي، 1867، الورقة 16/ب).

وعن تاريخ ارتحال الزجاي الجد إلى حواضر المغرب الأقصى، فيبدو أنه كان متواجدًا هناك قبل سنة **1194هـ/1780م**، وهي تاريخ وفاة عالم من تلمسان المدعو الشيخ بن عزوز، المدعو: **"سيدي بلة"**، والذي لقيه الزجاي بمراكش وأخذ عنه بعض العقاقير الطبية باعتبار ابن عزوز كان طبيبًا وعالمًا في المعقول، وفي ذلك يقول الزجاي الحفيد: "**(...) ثم ذهب لمراكش ولقي ابن عزوز (...)، الذي ناوله العقاقير (...)، التي أذهبت فيه كل علة (...)**"(الزجاي، 1867م، الورقة 15/أ).

وعن عودته إلى تلمسان، مستقره النهائي على ما يظهر، فقد جعل الزجاي الجد حوز العباد مكان للاستقرار، حيث تزوج هناك وواصل اجتهاداته العلمية، وهو ما ورد في المخطوط، حيث قال صاحبه: "**(...) ثم رجع لتلمسان واستوطن بها العباد خير مكان وتأهل بها وتزوج، وتدرع بالمعارف (...)**"(الزجاي، 1867م، الورقة 18/ب).

4. الرحلة العلمية الحجازية والتواصل الثقافي عند الفقيه "الزجاي الجد":

ساهم الحج بقوة في تعميق الوحدة الثقافية بين مصر وحواضر المغرب العربي، وذلك بتردد كبار العلماء بصفة دورية على الأزهر وغيره من المراكز الثقافية في مصر، وأصبح من تقاليد الحجيج الأساسية الاتصال بالمراكز الثقافية في مصر، وعلى رأسها الأزهر، وقد فضل أغلبهم المجاورة له لبعض الوقت، حيث قام الكثير منهم خلالها بالدراسة على أيدي علماء الأزهر، وأخذوا منهم الإجازات العلمية والصوفية(عبد المعطي، 2015، ص: 224). وظل الأزهر الشريف على ضوء

ذلك، يمثل المرجعيّة الدّينية والعلمية لعلماء المغرب الإسلامي عمومًا، والتلمسانيين منهم الّذين قصدوه للمجاورة العلميّة بلا هوادة منذ العصور الوسطى حتى اليوم. خاصة زمن المماليك الذين حكموا مصر ما بين **660هـ/1250م حتى 927هـ/ 1517م**(بومدين، 2022، ص: 403 . 413)، إذ أصبحت مصر مند ذلك الوقت نقطة استقطاب لعلماء البلدان الإسلامية(ابن خلدون، 2007، ص: 471)، وهو ما جعل الزجاي الجد يدلو بدلوه هو الآخر في التتلمذ على أهل المشرق عمومًا، أين جعل مصر ومراكزها الثقافية كالأزهر الشريف[11] طريقًا للاستزادة العلمية وللمجاورة[12] بها على ما يبدو، وصولاً لمكة التي جاور بها ثلاث سنوات بعد تأديته شعيرة الحج، وفي شأن ذلك يقول حفيده: "**(...) ثم ارتحل للحجاز وجعل على مصر المجاز فحج (...)، وجاور بمكة ثلاث سنين ثم رجع، وأخذ أيضا عن أهل المشرق وانكب كأنه بدر (...)**"(الزجاي، 1867م، الورقة 24/ب).

5. النتاج الثقافي والفكري للزجاي الجد:

1.5. مؤلفاته: إن مثل هذا العالم، لابد وأنه ترك ثروة علمية قيمة، ضمنتها بعض المصادر التي ترجمت له، والعلماء الذين نقلوا عنه في كتبهم، والذين احتفظوا لنا بأسماء بعضها، ومن أهم مؤلفاته نذكر ما سجله لنا صاحب "**إتمام**

---

[11] **الأزهر الشريف**: هو جامع وجامعة، أنشئ على يد "**جورج الصقلي**" عندما تم فتح القاهرة عام **378هـ/ 970م**، بأمر من "**المعز لدين الله**" أول الخلفاء الفاطميين بمصر. وقد اختلف المؤرخين في أصل تسمية هذا الجامع، الّذي سمي في البداية بـ: "**المنصورية**"، ثم أطلق عليه مسجد "**قاهرة**" بعد تأسيس المدينة، والراجح أن الفاطميين سموه بالأزهر تيمنًا بفاطمة الزهراء بنت الرسول صلى الله عليه وسلم. والأزهر معناه "**المشرق**" وهو صيغة المذكر لكلمة الزهراء، ويعد هذا المسجد ثالث أقدم المساجد الجامعة للعلم والعلماء بعد القيروان والقرويين. ينظر: الأزهر في ألف عام، (خفاجي، 2012، ص: 23).

[12] **المجاورة**: هو مصطلح أطلق في بادئ الأمر على كل رحَّالة أخد من بيت الله الحرام مكانًا يركن فيه، ويجاوره، ويعيش قربه، ويباشر فيه حياته العلميّة والأدبيّة، ثم عُمِّم على كل المقدسات الدِّينية والدُّنيوية الموجودة بعواصم البلاد الإسلامية، على غرار الجامع الأزهر، الذي بات يرعى شؤون الطلاب والعلماء القادمون من مختلف الحواضر الإسلامية. ينظر: (عبد المعطي، 2015، ص: 231).

الوطر" وهو يُسوِّد الخط في النتاج العلمي والأدبي لجده، الذي كان كثيرًا ومُتنوعًا، واختلفت عناوينه وأحجامه، طبقًا لمجالاته العلمية من علوم نقلية وعقلية، على حد تعبيره: "**(...) وأما مؤلفاته (...)، لا يمكن حصرها (...)، واختلافها من السفير إلى الكراس (...)، وخبره منها (...)**"(الزجاي، 1867م، الورقة 19/أ). حيث نورد منها على سبيل المثال لا الحصر، ما هو مذكور في المخطوط، حسب مجال التخصص في الجدول الموالي:

الجدول 1: جدول يبين بعض مؤلفات الشيخ الزجاي الجد.

الرقم	المُؤَلَّف	مجال التخصص
01	**تفسير الخمسة الأولى**	التفسير
02	**وكتاب السيرة القاطعة**	السيرة النبوية
03	**وكتاب المرائي المكية**	التصوف
04	**أداب الطريق والأذكار والأدعية**	التصوف وعلم
05	**شرح الاسماء الحسنى**	التفسير
06	**الجامع في النحو على ألفية**	علوم اللغة والنحو
07	**الامية في التصريف**	علوم اللغة
08	**الجامع في النحو على ألفية**	علوم اللغة
09	**شرح النونية**	التفسير
10	**الرحلة الفاسية**	أدب الرحلات
11	**الأحكام الفلكية والأسرار**	علم الفلك
12	**الأوبان الحرفية والعددية**	علم الحساب

2.5. مكتبته:

تعرضت مكتبة الزجاي الخاصة به، إلى موجة من المخاطر التي كانت سائدة زمن ثورة درقاوة، وكنا أسلفنا الذكر أن درقاوة قد عملوا بشتى الطرق للإطاحة بهذا العالم، دون الوقوف على الأسباب التي دفعتهم إلى ذلك، ولو أننا نرجح تلك العداوة بين الطرفين في إطار سياسة التكتلات الدينية ضد الأتراك العثمانيين، حيث كان الزجاي الجد على ما هو مُبين في سطور المخطوط، مرتبط جد الارتباط بالسلطة السياسية الحاكمة، ومقرب جدًا من الحكام العثمانيين، وهو ما لم يرق لأنصار درقاوة بتلمسان. كل ذلك جعل النتاج العلمي لهذا العالم في خطر محذق، فلم تسلم خزانته العلمية من هذه الشرارة السياسية والدينية بين الطرفين، إلا ما نقلها الثائر ابن الأحرش إلى **"جبل أترارة"**[13] في مسعى الحفاظ عليها، كونها كانت تضم حسب صاحب المخطوط نفائس الكتب والمجلدات النادرة، والتي كان قد جمعها الزجاي الجد بنفسه واشتراها من ماله الخاص، وفي شأن ذلك يقول صاحب **"إتمام الوطر"**: "**(...) كثيرة في التفسير، وغيره بما ذا الذي وقفنا على خبره وعثرنا على اثره ولكن قد ذهب لكثرها في الخزانة التي حملها ابن الأحرش إلى محله بالجبل، ولم يبق منها إلا ما نزر وقل، ثم افترقت بعد افتراق شمله في الأوطان فقلما يخلو منها بلد ولا مكان وقد كانت تلك الخزانة احدى الخزائن الكبرى تحوي على أحمال من المجلدات والأسفار، كان الشيخ رحمه الله قد بذل فيها وسعه واستفرغ في جمعها قوته وطبعه (...)**"(الزجاي، 1867م، الورقة 25/أ). أما الجزء الآخر من هذه الخزانة فقد قام بإتلافها أعداء الزجاي

---

[13] **أترارة**: جبال ترارة عبارة عن سلسلة ساحلية في الامتداد الغربي للأطلس التلي، تظهر هذه الكتلة الصخرية كقوس جبلي يربط بين البحر الأبيض المتوسط من الشمال، ووادي التافنة من الشرق، ووادي موبلح من الجنوب، ووادي قيس إلى الغرب الذي يحدد الحدود الجزائرية المغربية، تمثل هذه المساحة كيانًا جغرافيًا تم تحديده جيدًا نظرًا لتضاريسه الوعرة ذو توجه شرق-غرب، والذي يشمل بالكامل شمال ولاية تلمسان، والشمال الغربي من ولاية عين تموشنت، وتمثل منطقة الترارة امتداد الجزائر في الإيالة العثمانية فيما مضى. ينظر: (المدني، 1984، ص: 163).

الجد وحساده، على حد قول حفيده: "**(...) وبعضها دفنها حساده في الثرى وجرى عليها من مكدهم ما جرى(...)**"(الزجاي، 1867م، الورقة 25/أ).

غير أن الزجاي الحفيد يشير في آخر المطاف، أن جزء كبير من هذه الخزانة قد رجع إلى الزجاي الجد، وهو ما أخذه ابن الأحرش عنده بـ: **"جبل أترارة"**، حيث بعد انتهاء ثورة درقاوة بعث له ابن الأحرش تلك الخزانة ليلاً إلى قرية الخميس . **بلدية بني خلاد اليوم** . أين استلمها منه الزجاي الجد وأعادها إلى مقره بمدشر بني سنوس الذي جعله موضعًا للخَلوَة على ما يبدو، وفي ذلك يقول الزجاي الحفيد، ما نصه: "**(...) إلى أن كشفت فتنة درقاوة وانجلى منها ليل الغي والغباوة (...)، من نكبتها الأتراك (...)، حتى ارتأمت منهم النفوس فخرج فيمن خرج (...)، إلى جبل بني سنوس (...)، وأصبح منفردا عن بنيه وعياله متجردا عن كتبه (...)، وخرج قرية الخميس ووجد ابن الأحرش وهو بجبل ترارة (...)، بعث إلي الخزانة من نقلها إليه ليلا واستوعبها حملا (...)**"(الزجاي، 1867م، الورقة 25/أ).

5.5. صنعته في النسخ:

وممَّا جاء في **"إتمام الوطر"** أن الزجاي الجد كان من العلماء والشيوخ المتعلقين جدًا بنسخ الكتب والمجلدات، حيث أكد حفيده ذلك مُحليًا إياه بأجمل الأوصاف، تَنِم عن مدى رونق الخط الذي كان يكتب به جده، في قوله: "**(...) وكانت له في النساخة أية خارقة (...)**"(الزجاي، 1867م، الورقة 26/ب). زيادة على أنه كان مُتمكنًا في النسخ لدرجة أنه ينسخ ولا يُشوش عليه حتى وهو في المجالس يتحدث مع العامة والخاصة من أهل العلم، حيث قال: "**(...) يكتب وهو يحدث الجليس ولا يخشى الوقوع في التحايل والتلبيس (...)**"(الزجاي، 1867م، الورقة 26/ب). مضيفًا على أنه لم يكن يَمَلُّ من هذه الصنعة ولا يضيق صبره،

فقال في السياق نفسه: "**(...) لا يكل خاطره ولا يجيش ولا يزيغ (...)**"(الزجاي، 1867م، الورقة 26/ب).

6. وفاته:

توفي الزجاي الجد عن عمر ناهز السبعين سنة بمدشر **"بني سنوس"**[14]، إذ قيد حفيده بدقة تاريخ وفاته الذي كان حوالي **1226هـ/1818م**، فقال: "**(...) وتوفي بغرة الثلاثين من هاذه المائة عن نحو سبعين سنة حوالي 1226هـ/ 1818م، ببني سنوس غريبا ودفن هناك**" (الزجاي، 1867، الورقة 26/ب).

7. الخاتمة:

بناءًا على هذا العرض التاريخي التقييمي الموسوم بـ "**مقتطفات من حياة العالم أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن موسى بن محمد فتحا الزجاي التلمساني الجدّ (ت 1226هـ/ 1818م)**". والقراءة الاستنتاجية المتأنية لمُؤلف **"الزجاي الحفيد (كان حيا سنة 1284هـ/1867م)"**، تمكنا من الوقوف على مجموعة من النتائج. نسجلها فيما يلي:

. أبانت سطور مخطوطة **"إتمام الوطر"** عن نوعية العلوم الملقنة في تلمسان أواخر العهد العثماني، في مناهجها وأساليبها واختصاصات شيوخها من أهل صَفوَة الصَّفوَة بتلمسان، ناهيك عن مدى إسهامات علمائها بنتاجهم الفكري، المتمثل في مؤلفاتهم التي أفادوا بها إفادة كبيرة حواضر المغرب الأقصى، بعدما كانت رِحلتهم لتلك المراكز الثقافية بعضها اضطراري والآخر اختياري في الكثير من الأحيان. حيث

---

[14] **بني سنوس**: أحد قبائل جنوب مدينة تلمسان التي اشتهرت بالعلم والعلماء، أما أصل هذه القبيلة فقد أكدت البحوث والدراسات أنها تعود لقبيلة **"اشراكة"** التي تكونت إجمالاً من قبائل عربية وأمازيغية، اضطرتها ظروف العيش إلى الإجتماع والجوار، والتي ضمت بدورها قبيلة السجعة **"أسجع"**، التي أصبحت تسمى **"قبيلة بني سنوس"**، إن قبيلة بني سنوس أمازيغية الأصل، ثم استعربت، ولها جذور في الجزائر عامةً، يقيمون احتفالاً كبيرا معروف عند أهل منطقة بني سنوس بـ **"الناير"** ويسميه أهل بني سنوس بـ **"إيراد"** وهو الإسم الأمازيغي للأسد. ينظر: (ديستان، 2011، ص: 11).

أظهرت لنا محتويات المخطوطة، الكثير من العلاقات الفكرية والعلمية التي رسمت أواصر التواصل الثقافي بين تلمسان والحواضر المشرقية والمغربية، كتحصيل حاصل للنشاط العلمي الغزير الذي كان سائدًا في تلمسان أواخر العهد العثماني، حيث أحالت لنا هذه التفاعلات الثقافية من وإلى تلمسان حقائق تاريخية، نسجل من خلالها انتشار علوم تلمسان الراقية في تلك المراكز العلمية من ناحية، ونؤرخ من جهة أخرى للتلاقح الفكري الذي لم يغفله صاحب المخطوط وهو يسرد ما اعتاد عليه علماء تلمسان من ركوب مشاق الترحال للاستزادة العلمية، عندما أضافت هذه المخطوطة أوراق تأريخية ذات نوعية، تخص إجتهادات العالم **"الزجاي الجد"**، ومختلف أنشطته العلمية والدينية بالمؤسسات الثقافية الرسمية بتلمسان، زيادة على ذلك، كادت هذه المخطوطة أن تتخصص في ترجمة كل صغيرة وكبيرة تتعلق بهذا العلم التلمساني، لما أفرد له حفيده كلامًا كثيرًا لم تضاهيه تقريبًا كل المعلومات التي تضمنتها تراجم بقية العلماء والبيوتات العلمية الواردة في المخطوطة واسهاماته العلمية الرسمية وغير الرسمية بتلمسان.

. قدمت لنا هذه المخطوطة وهي تؤرخ **"للزجاي الجد"** معلومات تاريخية هامة عن مختلف الأدوار العلمية لأماكن طبونيمية موجودة في قلب المدينة المذكورة، كـ: **"حي العباد"**...، وغيرها من الأحياء التلمسانية التي شهدت حركة علمية كثيفة خلال العهد العثماني، بالاضافة لأماكن طبونيمية ورد الحديث عنها في ثنايا المخطوطة لعلماء ينتمون لمداشر تلمسان. ومختلف البوادي والقرى التي اشتهر الكثير منها بباعه الكبير في إثراء الحياة العلمية بتلمسان على مر العصور، حيث أصبحت بفضل التراكمات التاريخية منذ العصور الوسطى وإلى غاية رديفتها الحديثة، تعد بحق أحد المراكز الثقافية بهذه المدينة زمن العثمانيين، ما جعل هذه المخطوطة تنفرد بالصدارة المعرفية والمنهجية في مقام التأريخ للأوضاع الثقافية بتلك الطوبونيميات الثقافية الملامسة لساحل البحر الأبيض المتوسط

بتلمسان، كـ: **"العين الكبيرة"**، و**"بني سنوس"**، و**"جبال أترارة"** ونواحيها مثل "**قرية الخميس ـ بلدية بني خلاد حاليًا** ."، وغيرها.

ـ إن تناول مجمل المواضيع الثقافية الواردة في المادة المصدرية للمخطوطات التاريخية، على شاكلة مخطوطة **"إتمام الوطر"**، مكننا من الإطلاع على بعض معاناة علماء تلمسان في إعداد إنتاجهم العلمي والثقافي وصناعته، من الكتب، والمؤلفات، والمجلدات، وتحقيقها وتصنيفها، ومحاولاتهم الدؤوبة في الحفاظ عليها من الفتن والتداعيات الناتجة عن الثورات المحلية، وما كانوا ليصلوا إلى ما وصلوا إليه من تبريز علمي وإبداع أدبي، لولا جهدهم وكدهم ومعاناتهم من أجل حماية الآثار العلمية لمن سبقهم من العلماء. كل ذلك يدفعنا من أن نأخذ العبرة، عبر رد الإعتبار لهذه الطليعة المثقفة التي بات اليوم من الضروري أن نعمل بصدق، وجد، وبتفاني، في سبيل إخراج مخطوطاتها للنور، بتحقيقها وتصنيفها، وتقديمها للقراء، كونها جزاءً هامًا من التراث الوطني الجزائري الذي يتم توارثه من جيل إلى آخر، للحفاظ عليه وصيانته، بحشد همم علمية عالية، وإرادات أكاديمية صادقة، لها غيرة على هذا الزاد الذي هو في حاجة إلى توثيق أكاديمي، بمنهج علمي، وخبرة فنية، وإتقان في الإخراج.

8. قائمة المصادر والمراجع:

1.8. العربية والمُعربة:

. بومدين محمد، مصطفى أوعامري، (2022)، "**مظاهر من النشاط العلمي والفكري لعلماء تلمسان في العهد العثماني بالأزهر الشريف خلال القرن 12هـ/18م**"، مجلة دراسات وأبحاث، المجلة العربية للأبحاث والدراسات في العلوم الإنسانية والاجتماعية، مجلة دولية تصدر عن جامعة زيان عاشور بالجلفة، المجلد 14 . العدد 01، السنة الرابعة عشر.

. التلمساني (أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد بن عبد الله بن موسى بن محمد فتحا الزجاي الحفيد كان حيا سنة 1284هـ/1867م)، **مخطوط: إتمام الوطر في التعريف بمن اشتهر في أوائل القرن الثالث عشر**، المكتبة الوطنية بباريس، يحمل رقم: R.D.9307، 50 ورقة.

. حماش خليفة، (2012)، **كشاف وثائق تاريخ الجزائر في العهد العثماني بالمكتبتين الوطنيتين الجزائرية والتونسية**، نوميديا للنشر والتوزيع، الجزائر.

. خفاجي محمد عبد المنعم، علي صبح علي، **الأزهر في ألف عام**، (ج1)، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، 2012.

. ابن خلدون (أبو زيد عبد الرحمن بن محمد ت 808هـ/ 1403م)، (2007)، **المقدمة**، ط1، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر، لبنان.

. دحماني صبرينة نعيمة، (2020)، **الآثار الإسلامية الدينية بمدينة تلمسان، إحصاء وجرد وتحليل، (دراسة تمهيدية لوضع الخارطة الأثرية)**، كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر.

. ديستان إدموند، بن حاج سراج محمد، (2011)، **بني سنوس**، ترجمة: حمداوي محمد، منشورات تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية، تلمسان.

. دوتي إدموند، (2014)، **الصلحاء، مدونات عن الإسلام المغاربي في القرن التاسع عشر**، ترجمة: محمد ناجي بن عمر، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب.

. الراشدي (أبو العباس أحمد بن محمد بن علي بن سحنون ت بعد 1211هـ/ 1796م)، (2012)، **الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني**، تحقيق: المهدي البوعبدلي، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر.

. عبد المعطي حسام محمد، (2015)، **المغاربة في مصر خلال القرن الثامن عشر**، تقديم: إسماعيل سراج الدين، مكتبة الإسكندرية، مصر.

. بن علال حمزة، (2019)، **جهود علماء تلمسان في علوم القرآن**، تقريظ: قندوز ماحي وآخرون، دار كنوز للإنتاج والنشر والتوزيع، تلمسان، الجزائر.

. عبد الحليم محمود، (1985)، **شيخ الشيوخ أبو مدين الغوث حياته ومعراجه إلى الله**، دار المعارف، القاهرة.

. أبو القاسم سعد الله، (2009)، **تاريخ الجزائر الثقافي 1500 . 1930**، (ج2)، دار البصائر، الجزائر.

. المدني أحمد توفيق، **كتاب الجزائر**، (1984)، المؤسسة الوطنية للكتاب.

. المناوي زين الدين محمد عبد الرؤوف، (1999)، **الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية**، الطبقات الكبرى، دار الكتب العلمية، القاهرة.

. الناصري (أبو راس محمد بن أحمد ت 1238هـ/ 1823م)، (د.ت)، **عجائب الأسفار ولطائف الأخبار**، (ج1)، تحقيق: محمد غالم، منشورات المركز الوطني للبحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، الجزائر.

. نجراوي فاطمة الزهراء، (2017 . 2018)، **الدراسة الإيتيمولوجية لأسماء الأماكن المأهولة . مقاربة لغوية تطورية (منطقة تلمسان أنموذجا)**، أطروحة

مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم، تحت اشراف: أ.د: سعيدي محمد، قسم التاريخ، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة أبي بكر بلقايد.

2.8. الأجنبية:

Anonyme, 1830) ، Dictionnaire de la langue franque ou petit mauresque, suivi de quelques dialogues familiers et d'un vocabulaire de mots arabes les plus usuels à l'usage des Français en Afrique, typographie de Feissat, Marseille.

André (Gorguos), (1856), "Notice Sur Le Bey d'Oran Mohammed El Kebir", In Revue Africaine, N°1.